جامعة القرويين
كلية اللغة العربية
مراكش

فريق البحث
في أدب الغرب الإسلامي

شهادة المشاركة

يشهد السيد عميد كلية اللغة العربية بمراكش، أن الأستاذ(ة): فاطمة جبار
شارك بمداخلة بعنوان: "المقدمة النثرية في أدب الغرب الإسلامي: أي وظيفة؟"
.....

ضمن فعاليات اليومين الدراسيين اللذين نظمتهما كلية اللغة العربية بتنسيق مع فريق البحث في أدب الغرب الإسلامي في موضوع :

"الخطاب الموازي في مصادر الغرب الإسلامي".

وذلك يومي الأربعاء والخميس 29-28 ماي 2014 برحاب كلية اللغة العربية بمراكش.
وقد سلمت له هذه الشهادة تقديرا لجهوده المتميزة في إنجاح هذا الملتقى العلمي.

عميد كلية اللغة العربية

العميد

رئيس فريق البحث

د. الحسين إيت امبارك
مدير فريق البحث في أدب الغرب الإسلامي
كلية اللغة العربية - مراكش

برنامج اليوم من الدراسيين

الأربعاء 28 ماي 2014

- الجلسة الافتتاحية

9.00 - كلمة السيد العميد

كلمة رئيس فريق البحث

استراحة شاي

محور الجلسة الأولى: مقدمات نظرية

تيسير: محمد الطالبي

محاضرة افتتاحية للدكتور محمد رقيد في موضوع:

عتبة العتبات

****

العتبات: درس جينت [حسن المودن- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين . مراكش]

الخطاب المقدماتي: قراءة في المفهوم والإجراء [الداودي م. شرف العرب- كلية اللغة العربية . مراكش]

النص الموازي وديناميةالقراءة [عبد الفتاح شهيد- الكلية المتعددة الاختصاصات- خريبكة]

محور الجلسة الثانية: عتبات الدواوين الشعرية

18:00 -15:00

تيسير: أحمد قادم

"المقدمة الغيرية" في أدب الغرب الإسلامي: أي وظيفة؟ [فاطمة حرار- نيابة مراكش]

ديوان الشاعر أحمد الدباغ: قراءة في العتبات النصية [محمد فتح الله مصباح- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين . مراكش]

عتبة الخطاب المقدماتي في الديوان الشعري المغربي الحديث: التصنيف والتناص والوظائف الفنية [عتيقة السعدي- كلية اللغة العربية . مراكش]

عتمات العتبات: مقدمة ديوان ابن خفاجة والأسئلة الملتبسة [الحسين آيت مبارك- كلية اللغة العربية . مراكش]

استراحة

محور الجلسة الثالثة: عتبات مصادر اللغة والنقد

تيسير: سعيد العوادي

عتبة العنوان في التراث النقدي والبلاغي: الصنعة الإبداعية وبلاغة التلقي [محمد جمالي- نيابة الرحامنة]

"العقد الفريد" لابن عبد ربه: قراءة في وظائف الخطاب الموازي [إبراهيم نادن- الكلية المتعددة الاختصاصات- آسفي]

سؤال النسق في مقدمات أبي حيان الغرناطي [مليكة ناعيم- كلية اللغة العربية . مراكش]

هل يمكن الحديث عن نسق موجِّد للمقدمة في مصادر الغرب الإسلامي؟ [فاتحة السلايعي- كلية اللغة العربية . مراكش]

مناقشة

الخميس 29 ماي 2014

محور الجلسة الرابعة: عتبات مصادر الرحلة والترجمة والتصوف.

12:00 -9:00

تيسير: عادل عبد اللطيف

الخطاب المقدماتي في الرحلة الحجازية الناصرية: البنية والوظائف [عبد الحفيظ الملوكي- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين . مراكش]

Les Préfaces et Les essais du traduction du coran.

[سناء السميج- كلية اللغة العربية . مراكش]

التشوف إلى عتبات التشوف [مولود مزايط هيد الله- طالب بسلك الدكتوراه- كلية اللغة العربية . مراكش]

العنوان في تفاسير صوفية الغرب الإسلامي: مقاربة سيميائية [عبد الرزاق العسري- طالب بسلك الدكتوراه- كلية اللغة العربية . مراكش]

مناقشة

جامعة القرويين

كلية اللغة العربية

مراكش

ينظم فريق البحث في أدب الغرب الإسلامي يومين دراسيين

في موضوع:

الخطاب الموازي في مصادر الغرب الإسلامي

وذلك يومي الأربعاء والخميس

29-28 ماي 2014

بمدرج أحمد الشرقاوي إقبال

المنسق

د. الحسين آيت امبارك

لجنة التنظيم

سمير جلولات

إدريس الهواري

ياسين الخزاعي

يوسف بوعدين

المقدمة الغيرية في أدب الغرب الإسلامي: أي وظيفة؟

قراءة في مقدمة غيرية للدكتور محمد بن شريفة لكتاب "شرح ديوان أبي تمام للأعلم الشنتمري" تحقيق الدكتور إبراهيم نادن[1].

بقلم: دة. فاطمة حرار

نيابة مراكش

تقديم:

إذا كان لكل مقدمة صيغة لإنتاج معرفتها ومقاصد يتوخاها صاحبها/ المقدم ليقدمها بين أيدي القارئ، وليحقق تواصلا ناجحا مع المتن المقدم له، وإذا عرفت المقدمة – لتحقيق مقاصدها التواصلية – اهتماما خاصا على المستويين التنظيري والتطبيقي لتأطير بنيتها ومكوناتها ومنهج صياغتها... فإن المقدمة الغيرية كانت طليقة، لم تقيد وظائفها، لتبقى اسما على مسمى "غيرية" ولتواجه مجموعة من الأسئلة، تطرح نفسها عليها، منها:

–هل تنحصر وظيفتها في تزكية "المقدم له" كما هو شائع أم لها وظائف أخرى؟

– ما الذي يميزها عن المقدمة الأصلية، بجانب اعتبارها مكملا واعتبار المقدمة الأصلية ضرورة؟

–هل للمقدمة الغيرية قانون ينظمها ويضبط مكوناتها ومنهج صياغتها... كما هو الحال مع المقدمة الأصلية للمؤلف أو مقدمة التحقيق؟ هل يمكن أن تنافسهما وتؤدي بعض أدوارهما، أو يمكن أن تتعداهما إلى وظائف أخرى؟

–هل من إمكانية لوضع ضوابط لتنظيمها وتحديد وظائفها، أم أن ذلك من العبث لأنها حرة/غيرية؟

---

[1]- شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (410-476هـ)، دراسة وتحقيق: إبراهيم نادن، قدم له وراجعه الدكتور محمد بنشريفة، ج 1، (منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004).

هذه الأسئلة تفاعلت لصياغة عنوان هذه المقالة: "المقدمة الغيرية: أي وظيفة؟"، ولمقاربتها تم اختيار مقدمة غيرية للعلامة محمد بن شريفة [2]، تقديما لتحقيق كتاب شرح ديوان أبي تمام للأعلم الشنتمري (410–476هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور إبراهيم نادن. وهو عنوان يطرح تساؤلات على "المقدمة الغيرية" لا ليشترط جوابا، بل ليبحث عن مشروعية السؤال.

أما دواعي اختيار العنوان موضوع المقالة فهي:

–من حيث طبيعة المقدمة الغيرية عموما: فهي حرة طليقة تخترق جميع القيود لا تعرف تقييدا يؤطر حدودها شأن مقدمة الكتاب أو مقدمة التحقيق.

–من حيث طبيعة المقدمة المختارة للدراسة فهي مقدمة مناسبة لمقاربة عنوان هذه المقالة، والكشف عن بعض وظائف المقدمة الغيرية، والإعلان عن وجه من وجوهها الخفية وأدوارها الريادية، هي مقدمة مناسبة لمقاربة الأطروحة التالية: ما هو أقصى ما يمكن أن تقدمه المقدمة الغيرية لكتاب محقق؟ هل تنحصر في وظيفة توجيه القراءة أم تتجاوزها إلى وظائف أخرى؟

إن مقاربة هذا المطلب يتطلب اعتماد منهج تحليلي وصفي قائم على تتبع مكونات المقدمة وتحليل مظاهرها الموضوعية والفنية والكشف عن وظائفها، وذلك من خلال تتبع الخطوات التالية:

1 تمهيد يتضمن تعريف المقدمة لغة واصطلاحا، وتعريفا للمقدمة في الثقافة العربية وفي الثقافة الغربية، فتعريفا للمقدمة الغيرية ثم للمقدمة الغيرية موضوع الدراسة.

2–تتبع مضامين المقدمة الغيرية وتبويب قضاياها.

---

[2]- العلامة محمد بن شريفة: أستاذ كرسي شغل منصب الأدب الأندلسي منذ سنة 1992 إلى تاريخ إحالته على المعاش سنة 1995م. ولد –تقديرا-سنة1930م ببلدة في أولاد عمرو الغربيةبالعتامنة في مدينة الوليدية من إقليم الجديدة: من أب شريف حسني صقلي من قبائل دكالة: اقترح تاريخ ميلاده من قبل أبيه عندما اكتشفت الحالة المدنية (جهود الأستاذ العلامة الدكتور محمد بن شريفة في خدمة اللغة العربية بالمغرب : محمد قرقزان: ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي حصيلة وآفاق: منشورات كلية الآداب جامعة محمد الأول: وجدة: ط 1 (وجدة مطبعة شمس:1997):337ـــوحوتر أجراه البرنامج التلفزيوني "أقواس' مع الدكتور محمد بن شريفة يوم الإثنين 03 دجنبر 2001م

3-تحليل الوضعية التواصلية للمقدمة الغيرية وبنيتها الأسلوبية.

4-استخلاص وظائف المقدمة الغيرية ومقاصدها.

5-خاتمة.

1- المقدمة في الثقافتين العربية والغربية

يمثل لفظ "مقدمة" مفتاحا اصطلاحيا تبناه عنوان هذه المقالة لاستشراف نوع من أنواعها، وتبين ما يحمله هذا النوع من دلالات ومقاربة ما يتبناه من قضايا، ثم عقد حوار بينه وبين أنواع أخرى، لإيلائها ما تستحق من عناية والارتقاء بها إلى بناء هيكلي يؤطرها أو إقامة نظرية لخطاب المقدمة الغيرية.

1-1-المقدمة لغة واصطلاحا

المقدمة لغة من "قدم يقدم تقديما، 1-الشخص غيره: جعله قدامه، 2-الشيء: عرضه، 3-الكتاب: وضع له مقدمة..." [3]، واصطلاحا هي الجزء الأول من الكتاب، يقدمه الكاتب للقارئ قبل الشروع في المقصود لتوجيه قراءته إلى ما ينتفع به ولفهم مقاصد المؤلف[4].

وقد تعددت مرادفات "المقدمة" في التراث العربي الإسلامي بتعدد الأجناس الفنية، يقول محمد غنيمي هلال «في الخطاب بدء الكلام، وهو نظير المطلع للمقدمة والمدخل في

---

[3]- المعجم العربي الأساسي، تأليف جماعة من اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة (بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة 1989)، [مادة قدم].

[4]- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط 1، (بيروت، عالم الكتب، 1987)، 280.

المسرحية والاستهلال للموسيقى، وللملاحم كذلك مثل مدخل المأساة والملهاة، ويهدف هذا المدخل إلى التمهيد للموضوع...»[5].

1-2-المقدمة في الثقافة العربية

عرفت المقدمة اهتماما مميزا في الثقافة العربية، أثبت أصالتها الباحثون العرب القدامى والمحدثون، فقد أثبت الدكتور عباس ارحيلة وجود تصور للتأليف في مقدمات الكتب في حضارة الإسلام منذ القرن الثالث الهجري وتتبع نصوصا تراثية شاهدة على رسوخها في الثقافة العربية مشيرا إلى أن أول من ذكر مقدمة الكتاب هو الزمخشري (ت 538هـ) في معجمه الفائق في غريب الحديث [6]، كما فصل الباحثون القول في مكونات المقدمة [7]، وشروط بنائها وأساليبها وأنواعها [8]، يقول علي بن خلف الكاتب (ق 5): «فإن منزلة هذه المقدمات من كل كلام مؤلف منزلة الرأس من الجسد... وكما أن الباني لابد له من موضع أساس لما يبنيه... كذلك مؤلف الكلام لا يغني عن تقديم مقدمة يتطرق فيها إلى ما يروم التأليف فيه»[9].

1-3-المقدمة في الثقافة الغربية

شكلت المقدمة في الثقافة الغربية مجالا معرفيا مرتبطا بدراسة الهوامش النصية مع جيرار جنيت Gérard Genette الذي ارتبط اسمه بمفهوم "النصوص الموازية" Paratexte[10]، وهو مفهوم تطلب تكثيف عناصر أخرى غير المقدمة (Préface) لتقديم النص، أسماها "عتبات النصوص" واعتبرها منطقة موسعة تضم النص الإبداعي وخارجه[11]، وظيفتها مساعدة القارئ على تلقي النص والكشف عن إستراتيجية المقدم في

---

[5]- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال (بيروت، دار الثقافة، 1973)، 137.

[6]- مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة، ط 1، (مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية 2003)، 59.

[7]- المخطوط العربي، عبد الستار الحلوج، ط 2 (جدة مكتبة مصباح 1989)، 151.

[8]- مواد البيان، علي بن خلف الكاتب، تحقيق حسن عبد اللطيف (ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، 1982)، 121-122. المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت 520هـ)، تحقيق محمد حجي، ط 1، (بيروت دار الغرب الإسلامي 1988)، 10.

[9]- مواد التبيان، علي بن خلف: 120/119.

[10]- لفظ "Paratexte" يتكون من شقين " Texte" (النص) و"Para" وهو في اللغة الانجليزية عند "جيرار جنيت أداة تصوير متناقضة تعني في الوقت نفسه الداخل والخارج، وتمثل الحدود الدقيقة بينهما.

Seuils, G. Genette (paris, Seuils, 1987) : 7, (marge 2).

[11]- ينظر: (Seuils, G. Genette : 374).

توجيه عملية القراءة وتكريس وظائف تعليمية [12]، كما صنفها إلى صنفين: الأول سماه Le péritexte: يحيل على مقدمات تحتل موقعا حول النص داخل فضاء الكتاب، والصنف الثاني: "L'épitexte" ويحيل على أنواع النصوص التي تدور حول النص خارج فضاء الكتاب، نحو الحوارات والمقالات والندوات والاستجوابات...

فأما المقدمات المحيطة بفضاء الكتاب، فصنفها حسب موقعها داخل فضاء الكتاب إلى ثلاثة أصناف:

-**الصنف الأول:** المقدمات الاستهلالية Paratexte Liminaire: وتضم التقديم العام للكتاب وبيانات الغلاف في دفتيه وصفحة العنوان والإهداء[13].

-**الصنف الثاني:** المقدمة الوسيط Le Paratexte Intermidiaire: يستعان بها كوسيط لقراءة النص الإبداعي وكشف علاقاته النصية، وتضم الإحالات والفهارس باعتبارها تحيل على أصل النص وامتداده وأبعاده وكشف غموضه[14].

-**الصنف الثالث:** المقدمات المبثوثة Le para-texte Interstitiel: هي محاور تمهيدية مبثوثة في النص، تعمل على تفكيك صعوبة النص وحصر القراءة وتوجيهها، وتضم علامات الترقيم، العلامات الفاصلة وإشارات الفتح والإغلاق[15].

وقد اعتبر جيرار جنيت "المقدمة الغيرية" ضمن الصنف الأول الذي يحتوي أنوعا من المقدمات "Les Préfaces"، وربط تنوع أصنافها ووظائفها بتنوع زمن الكتابة ومكانها، ومنها – بجانب المقدمة الغيرية: Préface Allographe ، المقدمة الأصلية الذاتية Préface originale auctoriale والمقدمة اللاحقة[16]، والمقدمة المتأخرة[17].

---

[12]- نفسه، 185.

[13]- (Seuils, G. Genette : 8).

[14]- ينظر: عتبات النص الأدبي، حميد الحمداني، (مجلة علامات في النقد، ج 46، م 12، 2002): 28.

[15]- Introduction a l'analyse du descriptif, PH, Haman (Paris, Hachette 1981) : 212.

[16]- تأتي المقدمة اللاحقة (Préface Ultérieure) بعد الطبعة الأصلية لتعلن عن إعادة النظر في ما كتب فيها (Seuils, G. Genette : 222).

[17]- المقدمة المتأخرة Préface Tardive: اعتبرها جيرار جنيت مناسبة لتأملات المؤلف بعد تصحيح ما حصل من أخطاء لحظة القراءة (نفسه: 184-186).

1-4-المقدمة الغيرية Préface Allographe

اعتبرت الدراسات العربية عموما المقدمة الغيرية هي المقدمة المثبتة من قبل شخص آخر غير المؤلف لتزكية العمل المقدم له أو تقريضه أو نقده [18]، وسيكون هذا النوع هو محور هذه المقالة، لتحديد مكوناتها ورصد مستوياتها الدلالية والتداولية والتركيبية ثم استخلاص وظائفها.

إن المقدمة الغيرية إذن ممارسة مرتبطة بوجود كتاب (نص مطبوع) فهي جزء من نظام معرفي عام يسمى بالمكملات من تأليف أديب آخر يكون شخصية حقيقية Préface Authentique، يتمتع بشروط منها: شهرته وديع صيته لتؤدي مقدمته دور اللوحة الإشهارية...

كما أنها أشبه ما تكون بكتابة تقرير يقدمه الأستاذ المشرف / المقدم بين يدي لجنة القراء للتعريف بالمنجز – باعتباره متتبعها وموجها له – ولتقديم صاحب الإنجاز... لذلك نجد جل المقدمات الغيرية كتبت من قبل الشيخ أو المتخصص أو المشرف على العمل المقدم له من أجل الدفاع عنه ضد النقد أو التنويه به أو توجيهه أو نقده...

فما الذي يميز المقدمة الغربية عن غيرها من المقدمات؟ وما حدود علاقاتها بالنص المطبوع؟

1-5-المقدمة الغيرية موضوع الدراسة

[18]- نفسه: 242-249.

هي مقدمة غيرية للدكتور محمد بن شريفة كتبها تقدمة لكتاب محقق (دراسة وتحقيق) عنوانه: "شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي" لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (410-476هـ) دراسة وتحقيق إبراهيم نادن.

وهي مقدمة غيرية مناسبة لمقاربة عنوان هذه المقالة، والإجابة عن بعض أسئلتها من جهة، ومن جهة أخرى مناسبة لتمثل الفروق بين أنواع المقدمات والمقاربة بينها واستخلاص نقط الالتقاء والتقاطع وحدود التداخل والتباعد خصوصا بين مقدمة التحقيق والمقدمة الغيرية، كما أنها مقدمة صاحبها خبر "فن المقدمة" بأنواعها: مقدمة التأليف ومقدمة التحقيق والمقدمة الغيرية...

2- المقدمة الغيرية: أبوابها ومضامينها

2-1- وصف النسخة الخطية المعتمدة من قبل المحقق

إذا كان وصف النسخ الخطية من وظائف مقدمة التحقيق، فإن هذه الوظيفة انفتحت على "المقدمة الغيرية" مع الدكتور محمد بن شريفة والذي عرف بها محددا ما يلي:

-رقم المخطوطة المعتمدة في التحقيق: 1839.

-موضوعها: شرح لشعر أبي تمام.

-حجمها: سفر كبير.

-وضعيتها: مختلطة الأوراق مشوشة الترتيب، ترقيمها مختلط.

-وصف كيفية إعادة ترتيب أوراقها وسد نقصها إلى أن أصبحت تامة.

-مكان وجودها: خزانة القرويين، ولا يعرف غيرها في مكتبات العالم.

-مكان وزمن نسخها.

-وصف قيمتها التاريخية والأدبية: "شرح نفيس فخر به مؤلفه".

-التأريخ للمخطوطة وبرحلتها وتنقلاتها.

-التأريخ لكيفية دخول شعر أبي تمام إلى المغرب والأندلس.

-الكشف عن قيمة إخراجها، فالعثور عليها – في نظر المقدم – يتمم ما كان ناقصا من مكتبة الأعلم، لينضاف إلى أعمال أخرى[19].

وفي وصفه لوضعية المخطوطة وقيمة إخراجها وكيفية ترتيب أوراقها وسد نقصها... كان المقدم يذكر أفضاله في توفير نسخة تامة قابلة للتحقيق، فهو «النهاز للفرص والقناص للأعمال» كما قال محمد بن تاويت الطنجي[20].

وهو بذلك يوفر العناء على المحقق ويتقلد بعض أدوار مقدمة التحقيق باعتباره أقرب من غيره إلى المخطوطة وأقدر على تقديمها".

2-2-الكشف عن علاقة المقدم بموضوع الكتاب المقدم له

وهو موضوع، له صلة بمشروع كبير للدكتور محمد بن شريفة حول "تاريخ الصلات الثقافية بين مشرق الوطن العربي ومغربه عبر العصور، وهو مشروع نشر طرف منه سنة 1986 في كتابه "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة" (بيروت، دار الغرب الإسلامي 1986) وكان ينوي تطويره بتحقيق "شرح ديوان أبي تمام للأعلم الشنتمري" إلا أن انشغالاته بالأعمال الإدارية في العمادة والخزانة العامة منعته من متابعة مشروعه، فأسند هذا العمل إلى أحد تلامذته ليخرجه وينشره، ثم ربط صلته بالموضوع برابط متين، عبر المقدمة الغيرية، لتؤدي هذه المقدمة وظيفة "روحية".

2-3-الكشف عن علاقة المقدم بمحقق الكتاب (المقدم له)

لقد صرح المقدم باسم المقدم له: د. إبراهيم نادن، وبطبيعة العلاقة التي تربطه به، وهي علاقة تجمع بين ما هو عام وما هو خاص: علاقة الأستاذية: علاقة ثقافية أدبية،

---

[19]- من هذه الأعمال: «شرحه لشواهد الكتاب وشرحه للأشعار الستة وشرحه للكتاب – وقد سماه النكت – وشرحه لحماسة أبي تمام وشرحه لأبيات الجمل...»، (شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، للأعلم الشنتمري)، (مقدمة محمد بن شريفة: 2).

[20]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة لابن شريفة، محمد بن تاويت الطنجي، (مجلة الكتاب المغربي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، ع 6/5، 1988).

يقول: «ولما تقدم إلي تلميذي الدكتور إبراهيم نادن راغبا يومئذ أن يخضر بإشرافي رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا آثرته على نفسي بشرح الأعلم وكلفته بتسجيله وتحقيقه»[21].

2-4-التصريح بأفضاله في إخراج النص المقدم له وجهوده في ذلك

لقد أشرف المقدم علي العمل المحقق منذ تسجيله من قبل المحقق إلى غاية نشره، فهو ذو فضل على المحقق، إذ زوده بالمخطوطة الفريدة بعد إتمام نقصها وترتيبها، وأعاره كتبا نفيسة لم يكن ليتوصل بها إلا بمعية المقدم، يقول: «أعرته شرح التبريزي وشرح الصولي الذي طبع في العراق ولم يصل إلينا ولكني صورته عن نسخة الأستاذ المرحوم محمد شاكر في إحدى زياراتي له»[22]، ثم تتبع عمل تلميذه أثناء الإعداد إلى أن أنجزه.

2-5-التنويه بمجهود المحقق في التحقيق

نوه المقدم بمجهود تلميذه وعرف بخطواته في الدراسة والتحقيق قائلا: "بذل مجهودا طيبا سواء في التحقيق أم في الدراسة" كما نوه بمنهجه في التحقيق وبجهوده التي وصفها بالكبيرة في مقابلة النسخ وملء الفراغات، وفي التحليل والتعليل وفي تخريج الآيات والأحاديث والأشعار... وفي التعريف بالأعلام، مقدما تلخيصا موجزا لمراحل الدراسة وأهم عناوينها.

وقد قيم عمل المحقق وحكم عليه بالمتكامل قائلا: "فقد توخى، كما يقول، تقديم عمل متكامل يشمل إيضاح الفروق بين الروايات وتقويم النص ليكون تاما كاملا..."[23].

2-6-الانفتاح على مشاريع علمية جديدة والإعلان عنها

أعلنت المقدمة الغيرية عن مشروع بحث جديد يتمثل في العزم على إخراج "شرح للأعلم الشمنتري لشعر المتنبي الذي قاله في صباه"، وذلك لمواصلة مشروعه المرتبط "بتاريخ الصلات الثقافية بين المشرق والمغرب" من خلال إثبات عناية الأندلسيين والمغاربة بشعر أبي تمام وحماسته منذ وصولهما إلى المغرب، وإثبات مظاهر هذا الاهتمام «على

---

[21]- شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (مقدمة محمد بن شريفة)، 1.

[22]- نفسه، 1-2.

[23]- شرح ديوان أبي تمام، الأعلم الشمنتري، 2.

مستوى الروايات والأسانيد، أو على مستوى الإقراء والتدريس، أو على مستوى الشروح أو على مستوى النقد...»[24].

بهذا الإعلان عن مشاريع علمية جديدة تعتبر المقدمة الغيرية امتدادا لنصوص سابقة أحالت عليها أكثر من مرة، والمتمثلة في دراسة المقدم: "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة"[25]، كتاب في خمسة فصول، الفصل الأول يخص أبا تمام في أدب الأندلسيين والمغاربة، والثاني يخص أبا الطيب، والثالث حول مؤلف روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب، والرابع أثبت فيه نص رسالة ابن لبال الشريشي (ت 522هـ) المعنونة ب "روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب"، وهي رسالة صغيرة في النقد الأدبي، وعرف بصاحبها وحققها لانسجام موضوعها مع سياق الكتاب، ولاعتبارها نصا مكتشفا جديدا: والفصل الخامس تضمن مختارات من نسخة ديوان المتنبي السعدية، ملحقا بذلك توقيعات المنصور ثم زيادات من شعر المتنبي توجد في ديوانه المتداول.

وإذا كانت هذه المقدمة الغيرية امتدادا لنصوص سابقة فإنها أيضا ستمتد لتنفتح على نصوص لاحقة، تمثل مشروعه المستقبلي، وتفي ببعض الوعود العلمية التي قطعها على نفسه في بداية تجربته العلمية. وصرح بها في جل تأليفاته، لتمثل "المقدمة الغيرية" محطة من المحطات الأساسية في درب مشروعه الكبير: تاريخ الصلات الثقافية بين المشرق والمغرب.

2-7-الدفاع عن اهتمام الأسلاف في الأندلس والمغرب بشعر أبي تمام

يأتي هذا الموضوع في إطار الدفاع عن المغاربة وجهودهم في توثيق شعر أبي تمام وجمعه والاهتمام به ردا على من ادعى غير ذلك، وهو موضوع خص له كتابا هو "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة"، وأعاد ما أقره فيه في مقدمته الغيرية لإثباته قائلا: «إن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر كلف لجنة من الأدباء بتخريج نسخة صوتية ومصححة من شعر هذا الشاعر الكبير ، وفي طبقات الزبيدي خبر مفصل فيه أسماء أعضاء اللجنة والمعيار الذي اختاروه في ترتيب القصائد...» [26]، وأورد هذا الخبر بنصه لدلالته على

---

[24]- نفسه.

[25]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد بن شريفة، ط 1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م).

[26]- شرح ديوان أبي تمام... للأعلم الشنتمري: 3.

صدق ما دافع عنه وما سيدافع عنه من عناية المغاربة والأندلس بشعر أبي تمام، وجهدهم في جمعه وتوثيقه.

وبذلك جعل من مقدمته الغيرية بوابة أخرى لتحقيق رغبة أسمى: بناء تاريخ عام للأدب المغربي في المغرب والأندلس، ودفع الظلم والجور عنه، وكشف عن إنجازات مغمورة شاركت في نسيج هذا الأدب ولحمته، وهي رغبة حضرت في جل مقدماته الأصلية – تحقيقا وترجمة... – ولم تغب في هذا النوع من المقدمات: "المقدمة الغيرية".

ويبدو أن غيرة المحقق على التراث المغربي، وهاجس الدفاع عنه والبحث عن خصوصياته الثقافية وكشف جديده، من أهم المسوغات الداعية إلى إنتاج هذه المقدمة الغيرية، مثلما كانت مسوغا لإنتاج مقدمات أخرى في التأليف والتحقيق والتراجم [27]، ومثلما كان مسوغا لتحقيق رسالة "روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب" لابن لُبال الشريشي (ت 522هـ) للاستدلال على احتفاء المغاربة بشعر أبي تمام وأبي الطيب، وردا على الزعم الاستشراقي القائل بكسوف الشعر وكساد الأدب في عهد المرابطين[28].

يشكل هذا الموضوع نقطة التقاء وتداخل بين المقدمة الغيرية وباقي أنواع المقدمات المنسوبة للدكتور محمد بن شريفة تأليفا وتحقيقا.

2-8-شكر ذوي الفضل في إخراج العمل المقدم له

إن الاعتراف بالفضل لذويه هو شكر للعلم ودين، هو لسان صدق في الآخرين، من شأنه أن يرفع من قيمة العمل ويحيل على أهميته واحتضانه من قبل ذوي الشأن، لذلك أيده الخلف في مقدماتهم عن السلف في كل أنواع المقدمة. وقد تكفلت هذه المقدمة الغيرية بشكر ذوي الفضل في تذليل الصعوبات التي واجهت إخراج النسخة الخطية والتصريح بفضلهم،

---

[27]- خص الدكتور محمد بن شريفة مقدمة تحقيقه ل"مذاهب الحكام في نوازل الأحكام" لنقد كلام القاضي عياض حول أول من أدخل الفقه المالكي إلى المغرب الأقصى والرد عليه، كاشفا عن شواهد جديدة لم يذكرها المؤلف (مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، للقاضي عياض وولده محمد، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، ط 1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990)، 3-6.

وهو بذلك يعمل على النبش في مواطن النقص لسد الثغرات، وعلى تنبيه الباحثين والدارسين إلى مواضيع بحاجة إلى الدرس للتعريف بتاريخ المغرب. وفي السياق نفسه نذكر نشره "لديوان أبي فراس الحمداني" للتعريف بالرواية المغربية لهذا الديوان، وتأكيد اهتمام المغاربة بشعراء العرب عبر العصور، يقول: "وإذ يقوم بإعداد هذه النسخة المغربية لتنشر بمناسبة دورة أبي فراس التي تنظمها مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، فإننا نعتقد أنها أحسن تحية تحيي بها هذه المؤسسة بلدان المغرب الكبير التي خدمت لغة القرآن وحافظت على التراث (ديوان أبي فراس الحمداني" حسب الرواية المغربية (الكويب، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000)، 20.

[28]- في هذا السياق يقول المثدم: «ومقولة الأستاذ بلاشير عن المتنبي في عصر المرابطين بالأندلس... هي مقولة تبطلها النصوص الأدبية والشواهد التاريخية» (أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد بن شريفة، 124).

فقد أجزل الشكر إلى من يسر له سبل الحصول على المخطوطة، ومن تحمل عبء طبعها، وإلى كل من قدم له العون في درب هذا العمل، بفتح خزانته الخاصة أو أجاد عليه بالنسخة الخطية أو بادر بطبعها، وخص شكره للجهة المسؤولة عن نشر هذا الكتاب وطبعه: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فهي من الرموز الوطنية المشجعة على نشر التراث الوطني، وهي الجهة الداعمة التي تكفلت بطبع هذا العمل المحقق وإخراجه، وأفضالها على المقدم في هذا العمل المحقق أو غيره[29]، جعله يخصها بالشكر والإهداء.

2-9-دعاء الاختتام والتوقيع

اختصر المقدم دعاء الاختتام في "الحمدلة"، فقد "حمد الله رب العالمين" على تحقيق هدف من أهدافه العلمية المتمثلة في: ولادة نص نفيس وإخراجه إلى الوجود.

أما توقيع التاريخ واسم المقدم، فلم يصرح الدكتور ابن شريفة بزمن كتابة المقدمة الغيرية ومكانها، بالرغم من اعتبار ذلك مهما في استضاءة نسبتها، ووضع مادة التقديم في موقعها الزمني والمكاني – ولعل غياب هذا العنصر سببه الموقف من "المقدمة الغيرية" نفسها، فهي عنده ليست مجرد مقدمة كتبت في ليلة محددة لتقدم لعمل منجز، بل هي عمل رافق المتن المقدم له، بل سبقه في الزمان وتلاه، هي جزء لا يتجزأ من العمل، لذلك فهي أكبر من أن يؤرخ لها بزمان أو مكان.

2-10-نماذج من مصورات المخطوط

قدم المقدم وصفا مرئيا للمخطوطة الفريدة، فأثبت نماذج من صور لصفحات أربع، وهي صور اخترقت الحدود المكانية لتحط رحالها في المقدمة الغيرية بجوار وصف المخطوطة، بدل إثباتها في مقدمة المحقق كما هو معتاد وشائع، ليمثل هذا الجانب وجها آخر من وجوه التداخل الوظيفي بين أنواع المقدمة (مقدمة التحقيق والمقدمة الغيرية).

وإذا كان وصف النسخة المخطوطة في المقدمة إشراكا للقارئ في ظروف إخراجها ، فإن تفاعل هذا القارئ مع الوصف قد يتضاعف بحضور مصورات من النسخة الموصوفة،

---

[29]- وزارة الأوقف والشؤون الإسلامية: هي الجهة التي انتذبته للمشاركة في نشر أجزاء "ترتيب المدارك" للقاضي عياض، حين عزمت بامر مولوي من المغفور له الحسن الثاني على إحيائه لابراز مساهمة العبقرية المغربية في خدمة الثقافة الإنسانية، وهي الجهة التي تكلفت بنشر عدد من تأليفاته وتحقيقاته مشاركة منها في خدمة التراث المغربي والدفاع عنه بدافع الغيرة عليه.

وقد تستدرك ما أغفله الواصف في مقدمته نحو ضبط النسخة بالشكل أو عدمه، وتفقيره وترقيمه وكثافة سطوره... لذلك سميت هذه المصورات بـ "رواميز المخطوطة"[30].

وقد اعتبر المقدم الرواميز المختارة أجدر بمرافقة الوصف، لأنها شاهدة على ما قدمه من وصف للنسخة الخطية بل وتزيد عنه لتحيل على تمام النسخة (بداية المتن ونهايته) وعلى كيفية رسم عناوينها وعلى تملكاتها وتعليقاتها، وعلى ختم المكتبة التي تنتمي إليها وعلى نظام رسمها...

إن تتبع المخطوطة بالوصف والنمذجة في المقدمة الغيرية جعل منها فضاء توثيقيا من خلال التأريخ للنسخة وتنقلاتها وتتبع طررها وتعليقاتها وتملكاتها، وصور من صفحاتها، وهي بذلك تخفف من ثقل كاهل مقدمة المحقق، وتساعد على تأصيل النص المحقق وتوثيقه وتصويب وهم وقع فيه فهرس الخزانة... بجانب اعتبارها الجسر الأول للتواصل بين القارئ والنص المحقق... إن هذه الوظائف تشكل نقط التقاء وتداخل بين المقدمة الغيرية ومقدمة التحقيق.

2-11-استنتاجات

من خلال تتبع مضامين المقدمة وتبويبها نستخلص ما يلي:

-اعتبار المقدمة الغيرية امتدادا لمقدمة المحقق إبراهيم نادن، وامتدادا – في بعض جوانبها – لتقديم الناشر أحمد التوفيق.

-اعتبار الكتاب المحقق: "المقدم له" جزءا من مشروع الدكتور محمد بن شريفة، آثر إشراك تلميذه ليواصل ما بدأه تحت إشرافه، وهذا مؤشر على تقدير العمل الجماعي في بناء المشاريع العلمية الكبرى، وعلى إحياء قيمة العلاقة بين المشيخة والتلمذة في تطوير هذه المشاريع.

-تولي المقدمة الغيرية أدوارا كانت حكرا على مقدمة التحقيق ومنها دراسة المخطوط وإثبات قيمته العلمية، وهو مكون لا تكاد تخلو منه مقدمة تحقيق، اهتم به المقدم – بجانب

---

[30]- رايات المبرزين وغايات المميزين، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، تحقيق رضوان الداية، ط 1، (دمشق طلاس للدراسات والترجمة، 1987)، 281.

اهتمام المحقق به في مقدمة تحقيقه – لاقترانه بصحة نسبة الكتاب والاطمئنان إلى نسخته. وقد بدا للمقدم ضرورة وصف سند النسخة ومناولاتها وطررها وتملكاتها وإجازاتها لما لها من دور كبير في توثيق النسخة الخطية وترميم نواقصها، لذلك أثبتها بنصها، وهو أمر استحسنته كتب فن التحقيق لاعتبارها من درجات أنواع الرواية وطرق تحمل العلم [31] التي اهتم بها علماء العرب في تحديد منزلة النسخ، وفي ذلك تأكيد لمنزلتها وعنوان اهتمام العلماء بها.

والمقدمة الغيرية بهذا المعنى هي، من جهة، تقديم للنص المحقق من حيث موضوعه وإطاره العام، وصف نسخته... وهي، من جهة ثانية، تقديم للمحقق ولمقدمته في التحقيق.

–تولي المقدمة الغيرية أدوارا من اختصاص مقدمة التأليف، فرغبة المقدم وواجبه تجاه التراث المغربي – لقيمته وضرورة التعريف به وبمصادره – جعله يخلق من المقدمة الغيرية فضاء آخر لا يقل خصوبة عن مقدمة التأليف، فضاء لبناء تاريخ الأدب المغربي والدفاع عنه، وهو من المشاغل المركزية للمقدم ومن أولوياته العلمية.

–تولي المقدمة الغيرية مهمة التعريف بالمقدم نفسه وبمؤهلاته ومكانته العلمية، إذ قدم نفسه كشخصية لا تنخدع بالآراء الشائعة أو الجاهزة، شخصية مقدم لا يثق بما يجده على صفحة العنوان، بل يحقق في صحة الاسم والنسب والعنوان والأخبار...

–توليها مهمة التعريف بالمناصب العلمية التي تولاها المقدم، والكشف عن علاقاته الودية مع علماء عصره من مالكي الخزائن الخاصة، وما أثمرته من مبادلات، وما نتج عنه من كشف للنصوص التراثية المغمورة وتصويب لأخطاء شائعة.

وإذا كانت الديباجة من خصائص الكتابة المقدماتية عند القدماء، فإنها لم تعد كذلك عند كل المعاصرين، والمقدمة الغيرية موضوع الدراسة لم تتجاوز عبارة البسملة والتصلية

---

[31]- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبد التواب، ط 1، (القاهرة، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، 1986)، 17-23.

-تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، خالد بن عيسى البلوي، مقدمة وتحقيق الحسن السائح، ج 1 (المحمدية، مطبعة فضالة، (د.ت))، 9.

والبعدية: «باسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد».

ولعل غياب الديباجة في الكتابة الحديثة عند المقدم مرتبط بالتجديد في خصوصيات الكتابة ومتطلبات القارئ الداعية إلى التعجيل بتقديم الجديد والإخبار به.

3- وظائف المقدمة الغيرية ومقاصدها

3-1- وظائفها اعتمادا على الوضعية التواصلية

لقد تجاوزت المقدمة الغيرية وظيفة التزكية والإشهار، إلى وظائف أخرى كشفت عنها الوضعية التواصلية، من خلال العلاقة بين المرسل والمرسل إليه ومن خلال لعبة الضمائر وبنية الأزمنة والبنية الأسلوبية.

3-1-1- **المرسل والمرسل إليه**

من المرسل؟ ومن المرسل إليه؟ هل يوجه المقدم خطابه المقدماتي إلى مرسل إليه ناقد أم إلى المجتمع أم إلى متلق خاص...؟

إن المرسل في المقدمة الغيرية هو علاَّمة في مجاله، أستاذ كرسي، دائع الصيت في مجال التحقيق والترجمة إنه المشرف على العمل المحقق والمقدم له، فهو قوة فاعلة: كلف المحقق بإخراج النص وتتبع مراحل إنجازه وذلل صعوباته وقدم له وحكم عليه، وحكمه مسموع مأخوذ به فأدى بذلك وظيفة التزكية والإشهار حين اقترح العمل المحقق وأكد أهميته وقيمته العلمية، وحين كلف تلميذه بإخراج النص المحقق ونوه به وبجهوده.

أما المرسل إليه فقد يكون متعددا:

–مرسل إليه خاص: هو تلميذه الدكتور "إبراهيم نادن" الراغب في تحضير رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف أستاذه (المرسل) الذي نوه به وذكر أفضاله ومحاسنه وجهده في التحقيق... وفي ذلك تزكية للعمل المحقق ولمحققه، تزكية موثقة.

–مرسل إليه عام: القارئ العربي من أجل توسيع دائرة قراء الكتاب وإشهار قيمته وأهمية موضوعه وجودة إخراجه من جهة، وتهيئ القارئ وتسلحه بما يلزم قبل قراءة المتن المحقق.

–مرسل إليه غير معلن: المنكرون لاهتمام المغاربة والأندلسيين بشعر أبي تمام ولجهودهم في جمعه وتوثيقه، وهنا تحضر الوظيفة الدفاعية ضد النقد الموجه للموروث المغربي الأندلسي والدفاع عنه وتوثيقه، وهي وظيفة كشف عنها وفصل القول فيها في كتابه "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة" ثم أحال عليها في مقدمته الغيرية".

أما الرسالة التي تتوخاها المقدمة الغيرية فهي فتح آفاق جديدة أمام البحث وأمام الباحثين واستشراف لمستقبليهما، فقد راهنت المقدمة الغيرية على أن مشروع الصلات بين المغرب والأندلس غدا مشروعا أدبيا حاضرا وملحا بنى لبناته الأولى في أعمال سابقة، ليكون هذا العمل المحقق – بمقدمته الغيرية – لبنة أخرى لتطوير مشروعه/رسالته العلمية: "إثبات عناية المغاربة والأندلسيين بأدب المشرف واهتمامهم بشعر أبي تمام والمتنبي"، ولتؤدي المقدمة الغيرية بذلك وظيفة بنائية تتمثل في تدشين ميلاد مشروع بحث أو مشروع باحث وتكشف عن آفاق مستقبلية.

من مقاصد المقدمة الغيرية أيضا مهمة التوجيه: توجيه القارئ إلى قيمة العمل المحقق وقيمة المخطوطة وموضوعها، فرسالة المقدمة هي تأمين قراءة جيدة للنص وتحقيق تواصل سريع وناجح معه، وهي بذلك تكمل عمل المحقق، وتعلن عن وجوده.

وقد استثمرت المقدمة الغيرية بعدا توثيقيا لإنجاح الوظيفة التوجيهية.

3–1–2–دلالة الضمائر

تكشف دلالة الضمائر عن الأطراف التواصلية المتفاعلة في المقدمة، وبتحليلها يتضح نسيج علاقاتها وتتكشف وظائف قواها الفاعلة ومقاصدها وتصنف أدوارها، فما هي الضمائر المهيمنة في المقدمة؟ وما دلالتها وعلاقاتها؟

يهيمن على المقدمة ضمير المتكلم المفرد المرتبط بالفعل الماضي: [كنتُ وقفتُ – لما حصلت – وأخذت – وجدت – ولما شرعت – وجدت – لم ينتبه مرقم النسخة فقد ختمت...]، [كان فرحي كبير – وقفت على – وتبين لي – وهكذا أصبح لدينا...]، [وقد كنت أنوي – نشرت طرفا – شغلتني أعمال – تقدم إلي – آثرته على نفسي – كلفته – زودته – أعرته – صورته – تابعت – إلى أن أنجز – نقلته كما ألفيته].

بالنظر إلى هذه الضمائر وتسلسلها وسياقها الدلالي، نستنتج أن الضمير هنا قوة فاعلة، لا يكتفي بالحكم أو التوجيه أو الإثراء بل يأمر (أعرته – كلفته) ويفعل ويحرك ويغير [وجدت، وقفت على، ختمت، نشرت، تابعت].

إن ضمير المتكلم المفرد، إذن، فرض نفسه، وجعل من هذا الخطاب المقدماتي خطاب سيادة وسيطرة، ومن مظاهر هيمنته انفتاح اسمه على الغلاف، وتمثيله لعتبة من عتبات الكتاب المحقق، "قدم له وراجعه: الدكتور محمد بنشريفة وهو بذلك يعلن عن ممارسته للوظيفة التوجيهية والتقويمية: (قدم – راجع – تبين – نشرت طرفا) بجانب وظائف أخرى منها الوظيفة النقدية (لم ينتبه مرقم النسخة – أثبتنا هذا النص بكامله).

والوظيفة التوثيقية (كتبت – وقفت على – وجدت نقلته كما ألفيته). والوظيفة الدفاعية (أصبح لدينا – إلى أن أنجز)، وظيفة الإشهار والتزكية (تقدم إلي تلميذي – آثرته على نفسي – كلفته – أعرته – نشرت طرفا).

وإلى جانب هيمنة ضمير المتكلم المفرد، هناك حضور متواضع لضمير جمع المتكلم في قوله: "ومن شروح الأعلم التي نرجو إخراجها" [32]، وقوله: "أثبتنا هنا" وقوله: "من المفيد أن نثبت هاهنا نص الكلمة التي توجد في آخر نسخة الأسكوريال" [33]. وفي فعل الإثبات والرجاء تأكيد وإقرار لا يليق به إلا ضمير الجمع.

---

[32]- شرح ديوان أبي تمام، الأعلم الشنتمري، 4.

[33]- نفسه، 3.

أما ضمير الغائب فيعود على المحقق (إبراهيم نادن): [بذل... ألم... عرف... تحدث... رجع... أحسن... لم يقتصر... أشار... اجتهد في... قابل... وخرج... عرف... توخى...].

يهيمن على الضمير طابع الدفاع عن المحقق وإحصاء جهوده في التحقيق والتنويه بها ليحمل صفات إيجابية تحيل على الوضعية التواصلية في المقدمة، وعلى المواقف النقدية للمقدم.

إلى جانب ضمير المتكلم بنوعيه وضمير الغائب، يحضر ضمير آخر ضمني خفي، لم تعلن عنه المقدمة – ربما – لئلا يثقل كاهلها، وهو ضمير كشفت عنه مقدمات خارجية للمقدم، يتعلق الأمر بالمنكرين والمعارضين لعناية المغاربة بشعر أبي تمام، وهو ضمير يخفي وراءه وظيفة ضمنية إيحائية هي الوظيفة النقدية.

نلاحظ إذن هيمنة الذات المقدمة التي بنت علاقات مع الآخر (ضمير الغائب) وهي علاقات ربطت المتكلم بضمائر أخرى لتنسج علاقة التلمذة والأستاذية من جهة وعلاقة الصداقة والمهنية وعلاقات ثقافية من جهة أخرى.

3-1-3- دلالة الأزمنة

"للأزمنة" دور مهم في استخلاص وظائف المقدمة الغيرية، فبالنظر إلى الجمل الفعلية السالفة الذكر يتضح هيمنة الزمن الماضي لأن المقدمة تؤرخ لمرحلة في الماضي مرحلة الحصول على النسخة الخطية: "منذ أزيد من عشرين سنة" وهي أيضا مرحلة تحضير المحقق إبراهيم نادن لدبلوم الدراسات العليا، لذلك ارتبطت جل الأفعال الماضية بالحديث عن النسخة تارة (وقفت على، حصلت، وجدت، شرعت، كان فرحي كبيرا، كنت وقفت، كنت أنوي، نشرت طرفا، أعرته، صورته...) وعن زمن تحضير المحقق، لرسالته الجامعية (بذل، ألم، تحدث، رجع، اجتهد في، قابل...).

وبالرغم من هيمنة الزمن الماضي، فإن زمن المقدمة الغيرية يمثل حاضرها، وهو زمن مرتبط بزمن نشر الكتاب من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 2004 لنكون أمام زمنين في المقدمة الغيرية: زمن يؤدي وظيفة تاريخية وتوثيقية وإخبارية، ويرتبط بالحصول

على النسخة الخطية ووصفها وتحقيقها، زمن يرتبط بكتابة المقدمة الغيرية ونشر الكتاب المحقق، ويؤدي وظيفة توثيقية.

من جهة أخرى تحيل الجمل الفعلية في مجملها على الوظيفة الإخبارية، الإخبار بمجهودات المحقق في إخراج المخطوطة، والإخبار بدور المقدم في توفير النسخة الخطية كاملة، وفي توجيه المحقق ومتابعته والإشراف عليه.

3-2-البنية الأسلوبية للمقدمة الغيرية

تعمل البنية الأسلوبية، بوسائلها الحجاجية على ترسيخ الوظيفة الإقناعية والتأثير في المتلقي واستدراجه، فما هي تجليات هذه الوظيفة؟ وما هي وسائلها؟

3-2-1-أسلوب الإخبار

عملت المقدمة على الإخبار بقيمة العمل المحقق والإخبار بأهمية موضوعه في دعم مشروعه العلمي، والإخبار بصلته بهذا الموضوع الذي ينوي متابعته وتطويره، والإخبار بالمنهج الذي اعتمده المحقق في إخراج النص محققا.

3-2-2-أسلوب السرد والوصف

وبجانب الوظيفة الإخبارية، تحضر الوظيفة التأريخية بنقل أحداث بواسطة ضمير المتكلم والغائب، ويتجلى ذلك في سرد قصة المقدم مع المخطوطة الفريدة منذ أزيد من عشرين سنة، إلى أن أصبحت تامة، وسرد كيفية التوصل بها ومكان ذلك وزمانه، وسرد مراحل إتمام نقصها... وهي أحداث أدخلت الفرحة الكبرى عليه واعتبرها – كما قال – "من حسن الحظ".

لقد كان المقدم يستجلب الحكايات ويوثقها باعتبارها "نوافل فروض الحقائق ومراوح النفوس في كل الأفكار"[34].

أما أسلوب الوصف، فيتجلى في وصف النسخة المخطوطة قائلا: "مختلطة الأوراق مشوشة الترتيب مرقمة على هذا الحال" [35]، وفي وصف رحلة المخطوطة إلى أن وصلت

---

[34]- روضة التعريف، ابن الخطيب، 104.

إلينا، ووصف مشاعره تجاه موضوع المقدمة الغيرية: (كان فرحي كبيرا... وكان من حسن الحظ... آثرته على نفسي...).

فأما البعد التوثيقي في المقدمة فيتجلى في طبيعة اللغة السردية الوصفية للمقدمة والتي تضم معجما لأسماء الأعلام: أسماء طبعت المقدمة بطابع توثيقي، وأبانت عن فاعلين آخرين ساهموا في إخراج النسخة الفريدة إلى عموم القراء، ومنها:

-العالم التونسي المرحوم حسن حسني عبد الوهاب: بمكتبته وجدت الورقتان الضائعتان من المخطوطة"، والأخ الصديق الحبيب اللمسي والذي قام بتصوير الورقتين الأولى والأخيرة وسلمهما للمقدم، والأستاذ المرحوم محمد شاكر، ثم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

3-2-3-تنوع الحجج

وقد اعتمدت المقدمة الغيرية، لتحقيق مراميها وبناء إستراتيجية لإقناع المتلقي، على الوظيفة الإقناعية، باعتماد أساليب حجاجية مختلفة منها:

-الحجج التاريخية: إذ كانت المعرفة التاريخية دائما سند المقدم لتحقيق أهدافه العلمية، وكان يرى في التراجم وفي بناء الصلات الثقافية بين أعلام العصر نوعا أدبيا أكثر لصوقا بالتاريخ.

ولإثبات أطروحته المدافع عنها "والمتمثلة في اهتمام الأسلاف في الأندلس والمغرب بشعر أبي تمام"، أتى بحجة تاريخية سبق له ذكرها في مقام سابق في قوله: "إن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر كلف لجنة من الأدباء بتخريج نسخة مرتبة ومصححة من شعر هذا الشاعر الكبير" [36]، كما فصل مضمون الخبر ووثق مصدره: «وفي طبقات الزبيدي خبر مفصل فيه أسماء أعضاء اللجنة والمعيار الذي اختاروه في ترتيب القصائد وكان الاختيار على أساس جودة القصائد...»[37].

-الحجج النقلية الموثقة

---

[35]- شرح ديوان أبي تمام، للأعلم الشنتمري، 1.

[36]- نفسه، 3.

[37]- نفسه، 3.

استدل المقدم باستشهادات من مخطوطات اعتمدها للبرهنة على صحة مواقفه، وأثبتها بنصها بين يدي القارئ، مبررا دواعي ذلك نحو قوله: "أثبتنا هذا النص بكامله لدلالاته المتعددة على عناية الأندلسيين والمغاربة بشعر أبي تمام"[38].

-الحجج اللغوية وتتضمن التعريفات والمقارنات وأساليب التوكيد...

فقد عرف المقدم بالمخطوطة الفريدة، وعرف بقيمتها «فريدة لا يعرف غيرها في مكتبات العالم» [39]، وعرف بموضوعها «هو شرح نفيس فخر به مؤلفه وذكر أن العالم المنصف سيقر بفضله...»، كما عرف بالمحقق الذي آثره على نفسه بشرح الأعلم وكلفه بتحقيقه، عرف كذلك بمنهج المحقق في إخراج النص ودراسته[40]، وبجهود المغاربة وعنايتهم بشعر أبي تمام وتوثيقه، وبجهده الخاص في توفير النسخة الفريدة كاملة[41].

3-2-4-أساليب التوكيد

ولتعميق الوظيفة الإقناعية، كثف المقدم من أساليب التوكيد ومنها تكرار المعاني والعبارات. من مظاهره تداخل المقدمة الغيرية وانفتاحها على نصوص أخرى لها صلة بموضوع المقدمة، يقول: "وقد كان مما ذكرته من اهتمام أسلافنا في الأندلس والمغرب بشعر أبي تمام أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر كلف لجنة من الأدباء بتخريج نسخة مرتبة ومصححة من شعر هذا الشاعر الكبير» [42]، إلى جانب تكرار جمل ذات صلة بمشروعه الكبير: "عناية الأندلسيين والمغاربة بشعر أبي تمام وتوثيقه وجمعه" [43]، وهو بذلك يحيل على كتابه "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة".

ومن الأساليب أيضا، أسلوب الشرط: "لما حصلت على صورة منها... وجدت أنها مختلطة الأوراق"، "لما شرعت في إعادة ترتيب أوراقها... وجدت رقم 171"[44].

---

[38]- نفسه، 4.

[39]- نفسه، 1.

[40]- نفسه، 2.

[41]- نفسه، 1.

[42]- نفسه، 3.

[43]- نفسه، 1-3-4.

[44]- نفسه، 1.

وأسلوب النفي: "من هذه الإشارات والأخبار لم نقصد فيها إلى الاستقصاء..."، "لم ينتبه مرقم النسخة إلى أنها هي آخر الكتاب" "ولم يقتصر في التعليق..."، وأسلوب التحقيق: "فقد ختمت بها نصه: ... وقد كان فرحي كبيرا... وقد تفضل... وقد كنت أنوي... وقد بذل مجهودا طيبا... وقد رجع في هذه الدراسة... فقد بدل مجهودا... لقد تحدثت بتفصيل... وقد ختمتها..."[45].

3-3-استنتاجات

لقد قامت البنية الأسلوبية للمقدمة الغيرية، إذن، على نقل أخبار باعتماد السرد والوصف من جهة، وعلى غلبة الاستدلال وتنوع الحجج من جهة ثانية، وعلى الارتكاز على مرجعيات تاريخية ونقدية، وعلى لغة لها طاقة تأثيرية إقناعية، لغة تقريرية تنسجم ووظائف المقدمة، لذلك غلبت على بنيتها الأسلوبية الوظيفة الدفاعية الإقناعية لاستدراج المتلقي والتأثير فيه، والتوسل بأساليب بلاغية ونحوية تناسب مقام المقدمة الغيرية وتخدم أهدافها وتزيد من ثقة القارئ بما يقرأ.

كما كشفت الوضعية التواصلية – بجانب البنية الأسلوبية للمقدمة – عن وظائف المقدمة الغيرية، وهي وظائف تتجاوز كونها تزكية للمحقق أو لوحة إشهارية للنص المحقق، إلى وظائف أخرى منها: الوظيفة الدفاعية ضد النقد الموجه لمشروعه العلمي، والوظيفة التوجيهية لتوجيه المتلقي لقيمة المخطوط وأهمية موضوعه وجودة إخراجه، والوظيفة التاريخية المرتبطة بالتأريخ لمرحلة الحصول على النسخة الخطية ومرحلة تحقيقها... والوظيفة البنائية المرتبطة بتدشين مشروع بحث أو ميلاد باحث... لتحاط المقدمة الغيرية بخطابات كثيفة تسهم جملة في تداول الكتاب المقدم له وتلقيه، وفي توسيع دائرة قرائه.

خـاتمة:

[45]- نفسه، 1-2.

نخلص، إذن، إلى أن المقدمة الغيرية – بمعية الدكتور محمد بن شريفة – لا تنحصر في دور توجيه القراءة والقراء أو في تزكية العمل المحقق، بل لها مقاصد ريادية أخرى، لقد حظيت بحظوة خاصة عنده، فتجاوزت معه كونها مجرد تقديم صورة عن عمل المؤلف / المحقق إلى النظر إليها بكثير من الوعي والالتزام، إذ جعل منها صوتا للدفاع عن مشاريع علمية جديدة والكشف عن الآفاق والتطلعات.

لقد عبرت المقدمة الغيرية عن صحوة أفصحت عن نفسها بوضوح، حين أدت مهمتها التقليدية المتمثلة في تقديم عمل الغير، بجانب مهام أخرى طلائعية، فتجاوزت حدود النص المقدم له إلى التقديم للتراث، باعتبار النص جزءا حاضرا منه، معلنة عن الوظيفة الاسترجاعية لربط السابق باللاحق. وبتوسيعها للحدود المكانية انفتحت، على أنواع أخرى من المقدمات خارج الكتاب المقدم له عن طريق الإحالة، حين أحال على كتابه "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، تجنبا للإطالة والثقل، وهذا وجه من وجوه انفتاح المقدمة الغيرية على مواقع نقدية أوسع. وتوسيع مجالها إلى فضاءات خارج الكتاب، من شأنه أن يغني حدودها المكانية والزمانية دون إلغاء وظائفها داخل الكتاب المقدم له.

ويبدو أن المقدم – كعادته في تحقيقاته وتأليفاته ومقدماته – على وعي بأن ما يقدمه من أبحاث سابقة قابلة لصياغات أخرى تبعا لظهور الجديد ولتنقيب مستمر، هكذا كان صنيعه في عدد من تأليفاته، وكذلك كان في مقدمته الغيرية.

ولعل هذا الطابع الانفتاحي له دواع علمية ومنهجية وموضوعية، من شأنها أن تطور من مشروعه الكبير، الذي اعتبر، كغيره من المشاريع، "شجرة يدل عليها قطاع فروعها"، وقدمته هذه فرع من تلك الفروع.

لقد تحملت المقدمة الغيرية بعض أعباء مقدمة التحقيق، وشاركتها في بعض مهامها الأساس، نحو التحقيق في صحة المخطوط المعتمد وتوثيق زمنه، وفي تحديد منهج المحقق في إخراج النص، فخلقت بذلك علاقة تكامل وانسجام مع مقدمة التحقيق، كما استطاعت أن تبلور تصورا نظريا ونقديا حول منهج التحقيق، وحول قضية النص المقدم له لتخلق لنفسها مدخلا آخر للدفاع عن مكانة المحقق بين أقرانه ومكانة الكتاب بين أمثاله، والإلمام بمقاصد

مؤلفه، إنها تقدير لقيمة العمل المقدم له وجدية القصد فيه، وهي وظيفة تقاسمتها مع مقدمة المحقق، وظيفة خلقت الألفة والقرابة بين المقدم والكتاب المقدم له من جهة، وبينه وبين محقق الكتاب من جهة أخرى.

ختاما، إذا عرفت مقدمة التأليف ومقدمة التحقيق اهتماما كبيرا من قبل المنظرين والعلماء والأدباء والنقاد، فإن المقدمة الغيرية لم تحظ بذلك إلا لمما، وإذا كانت هذه المقدمة الغيرية للدكتور محمد بن شريفة، قد حظيت باهتمام خاص وقامت بوظائف متعددة، فوجهت ودافعت ووثقت وانتقدت وبنت ووثقت وأرخت واستشرفت... فإن ذلك لا يحدث إلا لمما، فهل هي بحاجة إلى تأصيل ودعم تنظيري؟ أم أنها تناست تأسيس ثوابتها لتبقى حرة طليقة؟

فهرس المصادر والمراجع

1–أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد بن شريفة، ط 1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م).

2–أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة لابن شريفة، محمد بن تاويت الطنجي (مجلة الكتاب المغربي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، ع 6/5، 1988).

3–تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، خالد بن عيسى البلوي، مقدمة وتحقيق الحسن السائح، ج 1، (المحمدية، مطبعة فضالة، (د.ت)).

4– التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط 1، (بيروت، عالم الكتب، 1987).

5–ديوان أبي فراس الحمداني، "حسب الرواية المغربية، إعداد (الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000).

6–رايات المبرزين وغايات المميزين، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ)، تحقيق رضوان الداية، ط 1، (دمشق، طلاس للدراسات والترجمة، 1987).

7–روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له محمد الكتاني، ط 1، (بيروت، دار الثقافة، 1970).

8–شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (410–476هـ)، دراسة وتحقيق: إبراهيم نادن قدم له وراجعه: الدكتور محمد بنشريفة، ج 1 (منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004).

9–عتبات النص الأدبي، حميد الحمداني (مجلة علامات في النقد، ج 46، م 12، 2002).

10–مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، القاضي عياض وولده محمد تقديم وتحقيق وتعليق، ط 1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990).

11–المخطوط العربي، عبد الستار الحلوج، ط 2، (جدة، مكتبة المصباح، 1989).

12–المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق محمد حجي، ط 1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988).

13–مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس ارحيلة، ط 1، (مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 2003).

14–المعجم العربي الأساسي، تأليف جماعة من اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة، (بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة، 1989 [مادة قدم]).

15–مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبد التواب، ط 1، (القاهرة، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، 1986م).

16–مواد البيان، علي بن خلف الكاتب، تحقيق حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفتح، 1982.

17–النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال (بيروت، دار الثقافة، 1973).

مراجع أجنبية:

18- Seuils, G. Genette (Paris, Seuils, 1987).

19- Introduction à L’analyse du descriptif, Philippe hamon (Paris Hachette, 1981).

فهرس الموضوعات

تقديم 1

1-المقدمة في الثقافتين: العربية والغربية.....**3**

1-1-المقدمة لغة واصطلاحا 3

1-2-المقدمة في الثقافة العربية.....3

1-3-المقدمة في الثقافة الغربية.....4

1-4-المقدمة الغيرية.....6

1-5-المقدمة الغيرية موضوع الدراسة 6

2-المقدمة الغيرية: أبوابها ومضامينها.....**7**

2-1-وصف النسخة الخطية المعتمدة من قبل المحقق 7

2-2-الكشف عن علاقة المقدم بموضوع الكتاب المقدم له.....8

2-3-الكشف عن علاقة المقدم بمحقق الكتاب المقدم له 8

2-4-التصريح بأفضال المقدم في إخراج النص المقدم له وجهوده في ذلك 9

2-5-التنويه بمجهود المحقق (المقدم له) 9

2-6-الانفتاح على مشاريع علمية جديدة 9
2-7-الدفاع عن اهتمام الأسلاف في الأندلس والمغرب بشعر أبي تمام 10
2-8-شكر ذوي الفضل في إخراج العمل المقدم له.....12
2-9-دعاء الاختتام والتوقيع 12
2-10-نماذج من مصورات المخطوط.....13
2-11-استنتاجات.....14
3-وظائف المقدمة الغيرية ومقاصدها.....15
3-1-وظائفها اعتمادا على الوضعية التواصلية.....15
3-1-1-المرسل والمرسل إليه والعلاقة بينهما.....16
3-1-2-دلالة الضمائر وعلاقاتها.....17
3-1-3-دلالة الأزمنة 19
3-2-وظائفها اعتمادا على البنية الأسلوبية.....19
3-2-1-أسلوب الإخبار 19
3-2-2-أسلوب السرد والوصف 20
3-2-3-تنوع الحجج 20
3-2-4-أساليب التوكيد 22
3-3-استنتاجات.....22
-خاتمة.....24
-لائحة المصادر والمراجع.....26
-فهرس الموضوعات.....28